تمهيد:

لطالما كانت الحركات الاجتماعية، موضوع للدرس والنقاش المعرفي مستأثرة منذ البدء باهتمام ثلة من الباحثين من شتي التخصصات العلمية في دلالة قصوى علي أهميتها في قراءة الأنساق والتحولات، وإذا كان النقاش قد تمحور في وقت سابق حول المفهوم وأشكال الاحتجاج، فإن الاجتهادات النظرية في الوقت الحاضر باتت تنشغل أساسا بالمضامين والهويات والشروط البنيوية التي تتميز هذه الحركات، وكل ذلك يسير في اتجاه بلورة وتحذير الدرس العلمي للحركات الاجتماعية كاحتجاجات لا يمكن قرائتها إلا بالانضباط للبراديغم السوسيولوجي.

1- أسس الحركات الاجتماعية

على أساس أن الحركات مؤسسة جماعية تتجاوز أطر المجموعة المحلية والحدث والفرد وتقوم بعمل منظم يهدف إلى تحول في الفكر و السلوك والعلاقات الاجتماعية فإن الحركات الاجتماعية ثلاث أسس مهمة وهي:

- تقديم برنامج إصلاحي للمجتمع يتضمن بالضرورة تغيير في المجتمع بغرس قيم جديدة أو إعادة ترتيب القيم القديمة.
- تحقيق الإشباع لأعضاء الحركة الاجتماعية بما يعني تعويضهم عما يعانون من الشعور بعدم الرضا.
- تكوين علاقات وبناء سلطة جديدة وهو ما يشمل تغيير البناء ومكانة الطبقات في المجتمع.

2- مراحل نمو الحركات الاجتماعية: تمر الحركة الاجتماعية بمراحل محددة حتى تصبح مستقرة وثابتة داخل المجتمع، وذلك على النحو الآتي:

- **المرحلة الأولى:**

نلاحظ في البداية بأن الحركة الاجتماعية تعتمد على شخصية مؤسسها وما يتمتع به من جاذبية وقدرة على التعبير والإقناع، تجعل الناس يلتفون حوله، وتُسمى هذه الصفات (الطاقة الملهمة أو الروحية غير العادية)، وخلال سنوات التكوين الأولى، تتخذ معظم الحركات الاجتماعية شكل الجماعة الأولية غير الرسمية، وتبدأ العملية أساساً بأن يؤثر مؤسس الحركة في مجموعة الأفراد الذين يتبعونه، ويتأثر كل فرد منهم بمؤسس الحركة من خلال الاتصال المباشر معه بوصفه قائدهم الملهم، ومثل هذا الاتصال يمد الأفراد بالتماسك والدينامية (التغير)، وفي البداية لا نجد أية رغبة لدى هذه الجماعة الأولى في تكوين تنظيم اجتماعي، فهي في وضع لا يتعدى الاستماع والامتثال للتعاليم الجديدة، التي يلقنها لهم قائدهم الملهم، وبنمو الجماعة يتجه المؤسس نحو وضع تنظيم للحياة والسلوك، مثل تعاليم حسن للإخوان المسلمين وتعاليم بوذا للذين يريدون طريق الخلاص، ومارتن لوثر لأتباعه، وهكذا.

وفي الحقيقة لا تمثل مسائل التعاليم مشاكل حادة في هذه المرحلة من مراحل تطور الحركة الاجتماعية، كما أن قليلاً من الاستفسارات الفكرية قد تعطي إيضاحاً للأسئلة الخاصة بطبيعة المؤسس وسلطة رسالته، وعلى الرغم من ظهور تلك

المسائل في وقت مبكر من تطور الحركة، إلا أن وجود المؤسس على قيد الحياة يمنحه الشرعية في السيطرة على أتباعه ولكن هناك مسائل مثيرة للخلاف تتمثل في كيفية نقل السلطة إلى الآخرين، وكذلك البناء الهرمي للأفراد داخل الحركة.

- **المرحلة الثانية:**

تتحول الحركة الاجتماعية إلى ما يُسمى بالتنظيم الرسمي لجماعة الأفراد، الذين يلتفون حول رسالة محددة تتعلق بالقضايا التي يؤمنون بها، وفي هذه المرحلة، ويتحمل مسؤوليتها، عادة، الجيل الثاني من الأتباع . تتضح بشكل كبير الصفات المتطلبة للعضوية، كما أن حدود السلطة للتنظيم تزداد وضوحاً، وتأخذ الاعتقادات الخاصة بالشخص المؤسس ورسالته شكل العقيدة الرسمية، التي يُعد الخروج عنها خروجاً على الحركة نفسها، وفي هذه المرحلة يمكن أن تظهر انشقاقات أو صراعات داخل الحركة، ومن ثم فلا بد من ظهور مؤسس ثانٍ لدعم الحركة.

- **المرحلة الثالثة:**

تتميز بالتوسع والتنوع، وبهذا تصبح الحركة أكثر تماسكاً وتتخذ أشكالاً متعددة من التنظيم، وتختلف الحركات الاجتماعية فيما بينها في أمر توسعها: فمنها ما يقبع تحت تأثير حدود العنصر أو الطبقة أو الثقافة، ومنها ما يتخطى هذه الحدود، كالحركات الدينية التي حوّلت إلى صفها عديداً من الأفراد ذوي المكانة السياسية والوضع الاقتصادي المرموق، وفي هذه المرحلة، أيضاً، تواجه الحركة الخطر الناجم عن نجاحها في التوسع والانتشار، أو الصراع بين التركيز على المبادئ الاجتماعية والأخلاقية التي تعتنقها، وتواجه الحركات أزمات حول سبب عدم تحول الأهداف التي تعتنقها إلى حقائق ملموسة وقابلة للتطبيق، على الرغم من النجاح الواضح للحركة الاجتماعية في كسب المزيد من الأتباع والمريدين والأعضاء الجدد.

3- طريقة عمل الحركات الاجتماعية:

مما لاشك فيه أن آلية عمل الحركات الاجتماعية تتطلب إتاحة المجال التنوع الواسع وضبط التركيبة الداخلية، والحركات الاجتماعية يمكن أن تنتفع أو تساعد على خلق مناخ يتيح المجال لتالف أو تركيب ثلاث عناصر وظيفية:

1- الحملة (campaign) : وهي مجهود عام مستدام ومنظم يملي مطالب جماعية على سلطات مستهدفة.

2- ذخيرة الحركة الاجتماعية: تعمل على توظيف مختلف أشكال العمل السياسي وخلق روافد مختلفة ومتنوعة كالجمعيات وعقد تحالفات ذات أهداف خاصة ولقاءات عامة ومواكب واعتصامات ومسيرات تركيبة من التحركات السياسية تشمل: خلق جمعيات وتحالفات وتظاهرات وبيانات إعلامية ومطويات وغيرها من الأعمال التي تؤثر في الخصم المتمثل في الجهاز الرسمي الذي يسيطر على ادارة شؤون المجتمع والدولة حتى ينصاع لمطالب المحتجين أو المطالبين بتغيير الأوضاع التي هم عليها بمعنى مجموعة متكاملة متغيرة من الأداءات أو ذخيرة أداءات الحركة الاجتماعية (sociale movement repertoire) لأن مفهوم الذخيرة يعد من أهم المفاهيم التي قدمها الباحثون في ميدان الحركات

الاجتماعية وعلى رأسهم الكاتب **"تشارلز تيلي"** ويقصد بها مجموعة الأعمال الروتينية التي يتجمع بواسطتها الناس للعمل من أجل مصالحهم المشتركة.

وذخيرة الحركة الاجتماعية تتداخل وتشترك في عدد من الأمور مع ذخيرة أداءات ظواهر سياسية أخرى مثل: نشاط اتحاد العمال والحملة الانتخابية، وقد قامت الجمعيات ذات الأغراض الخاصة والتحالفات عابرة الحدود إبان القرن العشرين بتنفيذ عدد هائل ومتنوع من التحركات السياسية على مستوى العالم، إلا أن بين معظم أو كل هذه الظواهر في حملات مستدامة هو ما يميز الحركات الاجتماعية عن أي تنوعات أخرى في مجال السياسة.

3- مؤهلات التحرك: تتمثل في جملة من الصفات العامة التي يجب أن تتوفر في أعضاء الحركة مثل: الجدارة worthiness، والوحدة initie، والزخم العددي numbers ، والالتزام Commitment **تجاه** أنفسهم أو تجاه قاعدتهم الشعبية.

إن هذه الصفات المذكورة سلفا يمكن أن تأخذ شكل البيانات، أو الشعارات أو الشارات، تلك العروض التي تنطوي على الجدارة والوحدة والزخم العادي والالتزام، وهذه الصفات تشكل وفق ما هو مألوف من اصطلاحات أو تركيبات تمثل وقفة الجمهور المحلي، على سبيل المثال:

- **الجدارة:** تصرف بوقار؛ ملبس مهندم ؛ حضور رجال الدين، الوجهاء والأمهات مع أطفالهن.
- **الوحدة:** شارات، أو عصابات الرأس، أو لافتات، أو أزياء موحدة, السير في صفوف؛ غناء وترنيم.
- **العدد:** أعداد المشاركين، الحاضرين، الموقعين على التماس، رسائل من القاعدة الشعبية أو المساندين، من الشوارع.
- **الالتزام:** تحدي الطقس السيئ، مشاركة واضحة من قبل كبار السن والمعاقين،؛ مقاومة القمع, التضحية المتباهية تسديد الاشتراك.

ولكي تنجح الحركات الاجتماعية في بناء وزن مقابل للقوى المهيمنة يجب أن تواصل التطور وألا تتقاعس عن استخدام كافة الأدوات المتوافرة، وكلما عظم عدم التوازن في القوة أو السلطة كلما اعتمد التحدي على علاقات تعددية وأدوات متنوعة من التحرك، وهذا ما قد يشمل أيضا أدوات أو أساليب دفاعية قائمة على الاعتماد الذاتي مثل التضامن الجماعي وتجميع الموارد أو قد تتضمن تدعيم مجال العمل أو التحرك بوسائل أو أدوات قانونية، ومن ثم فإن الحركات الاجتماعية قد تجسد أيضا وسائل فنية استراتيجية مؤثرة وفعالة ولكن أقل استعراضية من التظاهر العام النمطي.